المحاضرة الثالثة: نماذج البحث العلمي في علوم التسيير

يرتكز كل بحث علمي على وجود نظرة ما للظّاهرة محل الدّراسة، فيستخدم بذلك الباحث منهجيّة محدّدة ومؤسّسة ومبرّرة أيضا، ومن ثمّ يقترح نتائجا من شأنها شرح، تفسير أو بناء حقيقة ما. لذا فتحديد الإطار الابستيمولوجي لأي بحث يعتبر أمرا غاية في الأهمّية لجعل النّتائج المتوصّل إليها ذات مصداقية. هذا الإطار يترجم عن طريق ما يسمى **بالنماذج** (يقصد بها مجموعة من المخططات العقلية أو الإطارات المرجعية التي يمكن للباحثين في علوم المنظمة أو يندرجوا فيها...الخ، وانطلاقا من هذه النماذج تولد مدارس فكرية ونظريات متنوعة) التي تعد الأرضية التي يبنى عليها البحث، وهي أيضا المرجعية الفكرية المعتمدة للوصول إلى الحقيقة، لكونها تمكّن الباحث من تبرير كل اختياراته المتعلقة بالمنهجية المتبعة، نوع البحوث (كيفية كانت أو كمية)، الأدوات المعتمدة (الاستقراء، الاستنباط أو الإبعاد)، وكذا نوع البيانات المعتمدة بين الأولية والثانوية وأساليب جمعها وتحليلها. وعليه، سيتم تسليط الضوء على نماذج البحث العلمي في علوم التسيير وأنماط الاستدلال المستخدمة، وذلك على النحو الآتي:

أولا: نماذج البحث العلمي في علوم التسيير

- **النموذج الوضعي:** تمثل المعرفة فيه الواقع والهدف منه هو الشرح، ويرتكز هذا النموذج على حيادية التحليل كأحد شروط إنتاج العلم الموضوعي، كما أن فرضياته تكون واقعية (مطلقة) ومحددة، ويعتمد بشكل كبير على الطرق الكمية، ويتلاءم مع كل من الطريقة الاستنتاجية، والطريقة الافتراضية –الاستنتاجية. وإن الفلسفة الوضعية لهذا النموذج أن البحث العلمي يقتضي العمل على المتغيرات أو الحقائق الملاحظة والمكونة للظاهرة المدروسة، بحيث تتمثل مخرجات البحث في نتائج قابلة للتعميم على باقي الظواهر المماثلة للظاهرة المدروسة.

- **النموذج التفسيري:** يقوم على أن الهدف من خلق المعرفة هو فهم الواقع عن طريق التفسير الذي يقدمه الفاعلون فيه، ويعتمد على فرضيات نسبية، كما أنه يتميز بأسبقية المعطيات الكيفية على الكمية، ويعتمد على ذاتية الباحث للوصول إلى المعرفة، بحيث يظهر في البحث ارتباطا كبيرا بين الباحث والظاهرة المدروسة، ويتلاءم مع الطريقة الاستقرائية. وإن الفلسفة التفسيرية لهذا النموذج تشير إلى ضرورة فهم الاختلافات في سلوكيات البشر، وبالتالي اختلاف تأثيرها في الظاهرة المدروسة.

- **النموذج البنائي:** يقوم على اكتشاف المعرفة؛ إذ تتشكل المعرفة بتداخل الباحث مع موضوع البحث، وتكون الفرضيات عمدية، بحيث أن المعرفة المتحصل عليها تكون ذاتية وظرفية، ويعتمد بشكل كبير على الطرق الكيفية، ويتلاءم مع الطريقة الاستقرائية. وإن الفلسفة البنائية لهذا النموذج تقوم على فكرة مفادها أن

ما نتلقاه من حواسنا من معلومات ومعارف هو الواقع، حيث يستعمل الباحث الملاحظة للاطلاع على واقع الظاهرة المدروسة بدون القيام بالتجارب (أي أن الواقع المدروس يتبع الطريقة التي ينظر بها إليه الباحث). ويمكن للباحث أن يمزج بين مختلف النماذج في نفس البحث، وهذا سيشكل له فرصة لإثراء معارفه.

ثانيا: أنماط الاستدلال المستخدمة في البحث العلمي

ان اختيار نمط الاستدلال المناسب لموضوع البحث يتبع النموذج الابستمولوجي الذي يختاره الباحث، ويمكن توضيح ذلك في الشكل الموالي:

الشكل 01: أنماط الاستدلال

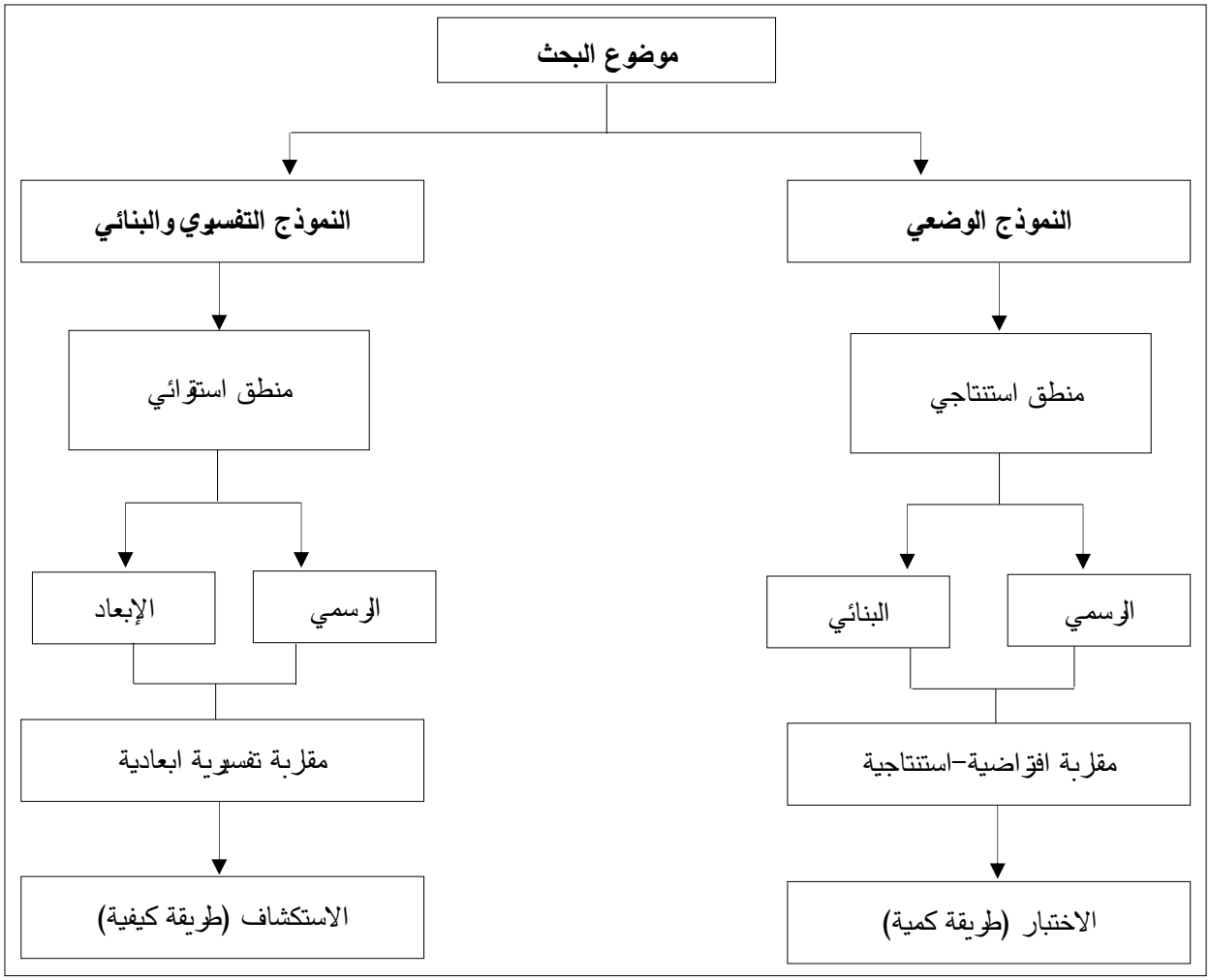

المصدر: دبلة فاتح، (2012): **تحديد الموقف الابستمولوجي والمنهجي للباحث في علوم التسيير، كيف ولماذا؟**، الملتقى الوطني الأول حول إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع وآفاق المنعقد يومي 07–08 مارس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص 20.

يتبين من الشكل أعلاه، أن أنماط الاستدلال تتمثل في:

– **الاستكشاف:** هو تمثيل للطرق المنهجية الكيفية (كلمات)، تضم استكشاف وتعميق البحث بهدف الفهم، التنبؤ والرغبة في عرض نتائج جديدة (تداخل المفاهيم وتفاعلها وإدخال مفاهيم جديدة في إطار نظري معطى)، ويقوم على الاستقراء والإبعاد حيث:

- **الاستقراء:** هو عملية استنتاج قانون عام أو مبدأ من ملاحظة حالات معينة، بمعنى أنه عملية تنطلق من الخاص إلى العام لاستخلاص نتائج قابلة للتعميم ومبنية على حقائق مشاهدة.
- **الإبعاد:** هو عملية استنتاجية أو فرضية تتعارض مع الاستقراء.

– **الاختبار**: هو تمثيل للطرق المنهجية الكمية (أرقام وإحصائيات)، والهدف منه هو تقديم شرح، ويتم هذا الاختبار بمقابلة موضوع نظري ما بواقعه الخاص به، ويقوم غالبا على أسلوب الافتراضي الاستنتاجي الذي ينطلق من القوانين أو الافتراضات ليستنبط منها الحقائق، فهو يعتمد على فكرة أساسية مفادها أنه إذا كانت الفرضيات المشكلة صحيحة، فإن النتيجة تصبح بالضرورة صحيحة، أي أنه يبدأ بالنظريات التي تستنبط منها الفرضيات ثم ينتقل إلى عالم الواقع بحثا عن البيانات لاختبار صحة هذه الفرضيات.

وإن للطريقة الافتراضية الاستنتاجية سبع خطوات وهي: تحديد منطقة المشكلة (أي إحساس الباحث أن تغيرا معينا يحدث أو أن سلوكا أو اتجاهات جديدة تظهر بغموض)، تحديد بيان المشكلة (يتضمن جمع البيانات الأولية وتكوين الإطار النظري)، وضع الفرضيات، تجميع البيانات الإضافية، تحليل البيانات وتفسيرها.

وبناء على ما تقدم، يمكننا القول إن تحديد وتبرير النموذج المنتهج في البحث العلمي في علوم التسيير يعد الخطوة الأساسية قبل الغوص في أعماق البحث، لأنه سيسهل على الباحث عملية تصوّر اشكاليته ومن ثمّ يحدد طريقه لفهمها إما بشرحها أو بتفسيرها أو ببنائها، وتتضح له معالم بحثه من حيث كونه كميا أو كيفيا أو مزيجا بينهما، هل سيعتمد على الاستقراء أو الاستنتاج أو الإبعاد، ما نوع البيانات التي سيجمعها أولية أو ثانوية؟ هل سيلجأ للاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة أو الجماعات المركزة أو يكتفي بالبيانات الداخلية للمؤسسة أو يزاوجها بالبيانات الخارجية؟ باختصار ستكون منهجية بحثه متجانسة ومتآزرة منذ اختيار النموذج إلى غاية تحليل وتفسير النتائج وتقديم الاقتراحات والتوصيات.